﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرّسـول هو الرّحمة المهداة برسالة الرّحمة

بعد ما ذُكر من رحمة الله بعباده الصّالحين العابدين الَّذين يرجون الدّار الآخرة، ناسب أن يذكر رحمة الرّسول الَّتي هي عنوان رحمة الله بالعالمين، وأنّ الله تعالى أرسل محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، وجعل معه رسالةً هي في مُجملها رحمةٌ مهداةٌ للنّاس.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: العالَم: هو ما يُعلَمُ بهِ الشّيءُ [1]، ويأتي بِمعنى الأنام، والأنامُ: ما على ظَهْرِ الأرضِ مِن جميعِ الخَلْقِ [2]، وسُمّي الخَلْقُ عالَمًا لأنَّه عَلامةٌ على الصّانِعِ، أو تَغْليبًا لِذَوي العِلْمِ، وعلى كُلٍّ هو مُشْتَقٌّ من العِلْمِ لا مِن العَلامَةِ، والجَمع: العَوالِم، والعالَمون: أصْنافُ الخَلْقِ، سُمّي بذلك؛ لاجتِماعِهِم [3]، وقيل: العالَم هو ما احتَواهُ الفَلَك [4]، وقيل: هو مُختَصٌّ بِمَن يَعقِل مِن الإنسِ والجِنِّ والمَلائكةِ والشّياطين [5]والمراد بالعالَمِ في الآية: الصِّنفُ مِنْ أصنافِ ذَوي العِلْمِ، أي: الإنسانُ، أو النَّوعُ مِنْ أنْواعِ المَخلوقاتِ ذاتِ الحياةِ [6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أسـاسُ دعـائم شريعة الإسلام الرَّحمةُ والرِّفقُ واليُسرُ

يُخبر الله تعالى في الآية الكريمة أنَّ من مظاهر فضله على النّاس أن أرسل إليهم نبيَّه ﷺ ليكون رحمةً لهم فقال: وما أرسلناك - أيّها

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (علم).
(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (علم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (علم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (علم)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 95.
(5) ابن منظور، لسان العرب: (علم).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 167.

الرَّسول الكريم - بهذا الدّين الحنيف وهو دين الإسلام، إلّا من أجل أن تكون رحمةً للعالمين من الإنس والجنِّ؛ وذلك لأنَّنا قد أرسلناك بما يُسعدهم في دينهم وفي دنياهم، وفي آخرتهم، متى اتَّبعوك، واستجابوا لما جئتهم به، وأطاعوك فيما تأمرهم به أو تنهاهم عنه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾:

رحمة الله عمّت الكون كُلّه

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾؛ عُطفت هذه الجملة على جميع ما تقدَّم من ذكر الأنبياء الَّذين أوتوا حكمًا وعلمًا وذِكرِ ما أوتوه من الكرامات، فجاءت هذه الآية مشتملةً على وصف جامعٍ لبعثة محمد ﷺ ومزيَّتها على سائر الشرائع مزيَّةٌ تناسب عمومَها ودوامها، وذلك كونها رحمةً للعالمين، فهذه الجملة عطفٌ على جملة ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ [الأنبياء: 91] ختامًا لمناقب الأنبياء، وما بينهما اعتراض واستطراد[2] أو أنّها معطوفةٌ على ما قبلها، وفائدة ذلك بيان أنّ الشّريعة الَّتي جاء بها الرّسول ﷺ هي رحمةٌ للخلق جميعًا، وهي سبب ميراث الأرض الَّتي وعد بها بقوله: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

بلاغة أسلوب القصر في الآية:

الرحمة مقصود رسالة الإسلام

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ الاستثناء هنا مفرّغٌ لأنّ الكلام منفيٌّ غير تامٍّ، فيكون ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر، و﴿رَحۡمَةٗ﴾ مفعول لأجله؛ أي: لأجل الرّحمة، أو حال من ضمير المخاطب مبالغةً في أنْ جَعَلَه نفسَ الرّحمة[3]، فإذا انضمَّ إلى ذلك انحصار الموصوف في هذه الصِّفة صار من قصر الموصوف على الصِّفة، وكأنّ الرّسول قد

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 258.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 165.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 8/ 214.

اتّحد بالرّحمة وانحصر فيها، ووقوعُ الوصف مصدرًا يفيد المبالغة في هذا الاتِّحاد بحيث تكون الرّحمة صفةً متمكّنةً من إرساله[1]، فصارت بعثتُهُ ﷺ رحمةً لمن كان فيهم، ثمّ امتدّت رحمتُه إلى العالمين.

دلالة التعبير بنون العظمة في قوله ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾:

ما أعظم الرّسالة والرّسولَ ﷺ

قوله: ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: التّعبير بنون العظمة للتّفخيم والتّعظيم، وبيانِ مكانة الرّسول ﷺ والرّسالةِ عند الله تعالى؛ فالرسول معظَّمٌ مشرَّفٌ؛ لأنَّ مرسله هو الله العظيم سبحانه، والرِّسالةُ عظيمةٌ مباركةٌ، فهي وحي العظيم ﷻ.

دلالة كاف الخطاب في قوله ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾:

كاف الخطاب في ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ فيها تشريفٌ بخطاب الحضور والمواجهة؛ تعظيمًا لقَدرِهِ ﷺ.

سرُّ تخصيص الإرسال بالرَّحمة:

الرّسول رحمةٌ مُهداة

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾: خصّ الإرسال بالرّحمة؛ وذلك لإبراز دور الرّسالة كونها رسالة رحمةٍ للعالمين بما فيها من التّشريعات الضّامنة لمصلحة العباد، فهي رسالة ضامنةٌ للرَّحمة الّتي تعمّ الإنسانيّة المؤمنة الملتزمة المُنقادة إلى أصول هذه الرّسالة، ويدلّ لهذا المعنى ما أشار إليه النّبيّ ﷺ بقوله: "يا أيُّها النّاسُ إنَّما أنا رَحْمَةٌ مُهْداةٌ"[2].

وتفصيل ذلك في أمرين: الأول تخلُّق نفسه الزَّكيَّةِ بخلُق الرَّحمة، والثاني كونه رحمةً للعالمين فهو مظهر تصاريف شريعته؛ أي ما فيها من مقوِّمات الرّحمة العامّة للخلق كلِّهم؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ متعلِّقٌ بقوله ﴿رَحۡمَةٗ﴾[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 166.
(2) الحاكم، المستدرك على الصّحيحين، كتاب الإيمان، رقم الحديث: (100).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 167، وأبو زهرة، شريعة القرآن من دلائل إعجازه، ص: 72.

الغرض من التّنكير في ﴿رَحۡمَةً﴾:

الـرّسـول هـو الـرّحـمـة العظيمة

تنكير ﴿رَحۡمَةً﴾ في قوله ﴿رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ لفائدة التّعظيم لشأن هذه الرَّحمة المُهداة إلى عموم العالمين ممَّن يستجيبون لدعوة الحقِّ، ويؤمنون بما أنزل إليك رسولًا هاديًا؛ إذ لا مقتضى لإيثار التّنكير في هذا المقام غير إرادة التّعظيم، وإلّا لقيل: إلّا لنرحم العالمين، أو إلّا أنّك الرّحمة للعالمين، وليس التّنكير للإفراد قطعًا؛ لظهور أنّ المراد جنس الرّحمة، وتنكيرُ الجنس هو الَّذي يعرِضُ له قصدُ إرادة التّعظيم[1].

دلالة التّعبير بالمصدر ﴿رَحۡمَةً﴾:

عـمـوم الرّحـمـة وشمولها

التّعبير بالمصدر يدلّ على الثّبات، وعموم الرّحمة دون ارتباطٍ بزمنٍ لنزولها، أو بأقوامٍ محدودين؛ فهي رحمةٌ عامّةٌ شاملةٌ، وفيها أيضًا مبالغةٌ في أنَّ اللّه ﷻ جعل النبيَّ ﷺ نفس الرَّحمة[2].

بلاغة الإيجاز في الآية:

الإيـجـاز البليغ بما يعجز عليه كلُّ بليغ

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أوجزت هذه الآية الكريمة في اللّفظ واحتوت معاني عظيمةً؛ فصيغت بأبلغ نظم فاشتملت بوجازة ألفاظِها على خمس كلماتٍ بأربعةٍ وعشرين حرفًا بدون حرف العطف، ذُكِرَ فيها الرّسول ﷺ، مع مدح المُرسِل، وهو اللّه تعالى، ومدح الرسول ﷺ، ومدح، والمُرسَل إليهم، ومدح الرِّسالة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصيَّة الحصر، وتنكير ﴿رَحۡمَةً﴾ للتّعظيم، فهذه اثنا عشر معنًى خصوصيًّا[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 165 - 166.
(2) السمين الحلبي، الدر المصون: 8/ 214.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 167.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»